

الدرس الثالث عشر: علو الهمة طريق للجنة

لقد حثنا الشرع الحنيف على علو الهمة وطلب المعالي في الأمور وكلها .
وقد عرف العلماء الهمة بأنها: " توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق، لحصوله الكمال له أو لغيره. " (التعريفات للجرجاني)

ولقد تضافرت النصوص النبوية على طلب علو الهمة في أعمال الدنيا والآخرة؛ فعن حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَيْدُ الْعُلَمَاءِ حَيْرٌ مِنَ أَيْدِ السُّفَلَى وَإِبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ. " (البخاري ومسلم)؛ قال ابن بطال: " فيه ندب إلى التعفف عن المسألة، وحض على معالي الأمور، وترك ذنئها، والله يحب معالي الأمور " (شرح البخاري)

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يحب صاحب الهمة العالية ويغض أصحاب الهمم الدنيئة؛ فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله عز وجل يحب معالي الأمور ، ويكره سفاسفها » (الحاكم والطبراني بسند صحيح).

قال ابن القيم: فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكل خلق جميل. ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل. ولقد طمأن النبي صلى الله عليه وسلم أهل الهمة العالية بأن الله -عز وجل- يمدهم بالمعونة على قدر سمو همهم، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن المعونة تأتي من الله العبد على قدر المؤنة. » (البخاري ومسلم)؛ وبين صلى الله عليه وسلم أن أكمل حالات المؤمن أن يكون همه الاستعداد للآخرة، وبذلك تأته الدنيا راغمة؛ فعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَانَتْ الْأَخْرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ؛ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَدَّرَ لَهُ. " (الترمذي بسند صحيح).

فعليكم أن توطنوا أنفسكم على علو الهمة؛ فإن من جبل على علو الهمة، لا يرضى بالدون، ولا يقنع بالقليل، ولا يلتفت إلى الصغائر. ولهذا قيل: ذو الهمة إن حط فنفسه تأبى إلا علوًا، كالشعلة في النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا. وما أجمل قول عمر بن عبد العزيز: إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَاقَةٌ؛ لَمْ تَزَلْ تَتَوَقُّ إِلَى الْإِمَارَةِ، فَلَمَّا نَلَيْتَهَا تَاقَتْ إِلَى الْخِلَافَةِ، فَلَمَّا نَلَيْتَهَا تَاقَتْ إِلَى الْجَنَّةِ ! " (عيون الأخبار).

وكما أن الناس متفاوتون في العقول والمواهب والقدرات؛ فكذلك هم متفاوتون في الهمم؛ قال الله تعالى: {إن سعيكم لشتى}. فعلى قدر الهمة عند الفرد يأتي الجد والاجتهاد والنشاط والعمل. يقول المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ *****
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ *****
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا *****
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ *****

فههم الناس متفاوت؛ فمنهم من همته جمع المال؛ ومنهم من همته النساء؛ ومنهم من همته الخمر والمخدرات؛ ومنهم من همته الجنة والآخرة... إلخ؛ ومما يدل على تفاوت الهمم عند الناس هذه القصة: " اجتمع عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة، فقال لهم مصعب: "تمنوا"، فقالوا: "ابدأ أنت"، فقال: "ولاية العراق، وتزوج سكينه ابنة الحسين، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله"، فنال ذلك، وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم، وجهزها بمثلها، وتمنى عروة بن الزبير الفقه، وأن يُحمل عنه الحديث، فنال ذلك، وتمنى عبد الملك الخلافة، فناها، وتمنى عبد الله بن عمر الجنة. " (ربيع الأبرار - الزمخشري)

إن من صفات المؤمن الحق أن يكون عالي الهمة ، رفيع الرغبة في تحقيق معالي الأمور التي تنفع صاحبها في الدارين؛ فهو لا يرضى بالدون إذا كان قادراً على تحقيق المعالي ، ولا تطاوعه نفسه على أن يكون في مؤخرة الركب وهو قادر على أن يكون في المقدمة ، ولما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بعدد أبواب الجنة وأنها ثمانية نخصت نفس أبي بكر الصديق التواقة إلى أعلى المنازل فتمنى الدخول من الأبواب كلها ، جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” من أنفق زوجين في سبيل الله ، نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ . قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم ”

فانظر إلى الهمة وتأمل في هذا السمو ، ولعل هممنا في هذه الأيام أن تعلقوا وترتفع لبلوغ أعلى المنازل ، وتصل إلى أعلى الدرجات ، ولقد كان رسول الهدى عليه الصلاة يربي أصحابه على الهمم العالية فكان يقول لأصحابه : ” إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنها وسط الجنة وأعلاها وفوقها عرش الرحمن؛ ومنها تفجير أنهار الجنة. ” (البخاري).

إن الهمم العالية لا تعطي الدنية، ولا تقنع بالسفاسف، ولا ترضى إلا بمعالي الأمور:

قلت للصقر وهو في الجو عالٍ ... اهبط الأرض فاهواءٌ جديبٌ

قال لي الصقر: في جناحي وعزمي ... وعنان السماء مرعى خصيبٌ

صور من علو الهمة عند السلف الصالح

لقد فقه سلفنا الصالح طريق علو الهمة، فارتفعت همتهم على السفاسف، فلا تراهم إلا صوامين قوامين، باكين مخبتين، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة، تشير بعلو همتهم في جميع مجالات الحياة؛ في العلم والعمل؛ في الجهاد لإعلاء كلمة الله؛ في التوبة والاستقامة، في العبادة والإحبات.... الخ

– فعلو الهمة في مجال العبادة نجد الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة في الهمة العالية في العبادة. فعن عائشة قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رِجْلَاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟! (متفق عليه)؛ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ قَالَ قِيلَ وَمَا هَمَمْتَ بِهِ قَالَ هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدْعُهُ" (متفق عليه).

وقد دفعت الهمة العالية عند الصحابة أن يقتدوا به صلى الله عليه وسلم في وصال الصوم؛ ونهاهم عن ذلك كما جاء في الصحيحين. وتتجلى الهمة العالية عند عبد الله بن عمرو لما جعل يساوم النبي صلى الله عليه وسلم في الصيام والقيام؛ فعنه رضي الله عنه قال: لي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ وَفُمْ وَتَمَّ. فَإِنَّ لِحْسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ وَإِنَّ لِرِزْوَاجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ وَإِنَّ لِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَثْمَالِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ. فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةَ قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ. قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (البخاري)؛ قارن بين علو هذه الهمم ودناءة هممنا مع الله في العبادة والصيام والقيام!!!

– وفي مجال علو الهمة في قراءة القرآن نجد الصحابة يساومون الرسول صلى الله عليه وسلم في إقرارهم على ختمة القرآن في أقصر وقتٍ ممكن؛ فعن عبد الله بن عمرو قال قلت: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: اقرأه في كلِّ شهرٍ قال: إني أقوى على أكثر من ذلك

قال : اقرأه في خمسٍ وعشرين . قلتُ : إني أقوى على أكثر من ذلك . قال : اقرأه في عشرين . قال : قلتُ : إني أقوى على أكثر من ذلك . قال : اقرأه في خمس عشرة . قال : قلتُ : إني أقوى على أكثر من ذلك قال : لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاثٍ " . (رواه أحمد بسند صحيح).

- وفي مجال العلم نجد المهمة العالية في طلبه والمداومة عليه عند السلف الصالح؛ حتى أن أحدهم لا يجد وقتاً يأكل فيه لقيمات يقمن صلبه؛ فقد كانت ساعات الأكل لقوام حياتهم ومعاشهم ثقيلة عليهم، فقد سألو الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - : ما هي أثقل الساعات عليك؟ قال: ساعة أكل فيها.

وكانَ داوُدُ الطَّائِيُّ يَشْرَبُ الْفَتِيَّتَ وَلَا يَأْكُلُ الْحُبْزَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بَيْنَ مَضْغِ الْحُبْزِ وَشُرْبِ الْفَتِيَّتِ قِرَاءَةُ حَمْسِينَ آيَةً «كتاب المجالسة وجواهر العلم»

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري يقول: " أثقل الساعات عليّ ساعة أكل فيها. " فالله أكبر ما أشد علو المهمة في طلب العلم عنده؟! وما أوقد الغيرة على الوقت لديه!؟

قلت متعجباً: أثقل ساعات عليه ساعة الأكل؛ مع أنه مباح وواجب لقوام الحياة وحفظ النفس؛ وما يتوصل به إلى الواجب فهو واجب، فكيف حالنا ونحن نُضَيِّعُ أوقاتنا في الفراغ والحرام وأمام المسلسلات والأفلام وعلى القهاوي والطرقات، وعلى النت والمعاكسات!!؟

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها ... والجهل يهدم بيوت العز والكرم

- وفي مجال علو المهمة والسبق إلى أعمال الخير والبر نجد أبا بكر - رضي الله عنه - الرجل الذي ما وجد طريقاً علم أن فيها خيراً وأجرًا إلا سلكها ومشى فيها، فحينما وجّه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى أصحابه بعض الأسئلة عن أفعال الخير اليومية، كان أبو بكر الصديق هو المجيب، قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ " ، قال أبو بكر: أنا، قال: " فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ " ، قال أبو بكر: أنا، قال: " فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ " ، قال أبو بكر: أنا، قال: " فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ " ، قال أبو بكر: أنا، فقال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " ما اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ . " (أخرجه مسلم)

- وفي مجال الإنفاق نجد علو المهمة في التنافس بين الصحابة؛ وكان أبو بكر رضي الله عنه له السبق؛ عندما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحابته أن يتصدقوا ، يقول عمر: ووافق ذلك عندي ما لا فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، فجئته بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، عندئذ قال عمر : لا أسبقه إلى شيء أبدا " (رواه الترمذي)؛ بل إن الصحابة كانوا يرون أن ليس لهم حق في أموالهم؛ وليس موقفهم في غزوة بدر ببعيد حيث قالوا: خذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت؛ وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت!!

وهكذا كانت حياة الصحابة والسلف الصالح مملوءة بالهمم العالية في كل مجالات الحياة؛ مما أهلهم أن قادوا وسادوا!!

علو المهمة في حياتنا المعاصرة بين النظرية والتطبيق

لو نظرنا إلى واقعنا المعاصر ووضعنا هم الرجال والنساء والولدان في الميزان؛ لوجدنا أن هممنا في جميع المجالات الدينية والدينية قد بلغها العجز والقصور؛ فنجد الفرد منا لو سجد لله سجدة أو تصدق بدرهم أو صام يوماً يظن أنه قد بلغ القمة في علو المهمة؛ ولا يدري هذا المسكين أن أفعاله الزهيدة هذه قد تكون وبالا عليه في دنيا وأخراه؛ ولذلك يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : " إن العبد ليسجد سجدة لله يظن أنه تقرب بها إلى الله والذي نفسي بيده لو وُزِعَ ذنب هذه السجدة على البلدة كلها لكفتهم ، قيل له : لماذا ؟ قال : لأنه يسجد برأسه لمولاه وقلبه منشغلٌ بدينه "

هذا في مجال الطاعة؛ أما في مجال المعصية فإن الهمم نحو فعل المعصية عالية قد بلغت ذروتها؛ ومع ذلك يظن صاحبها أنها ليست بمعصية أو ليست بشيء!!

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " إِنَّكُمْ لَتَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ؛ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْني بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ " (البخاري)؛ قال ابن بطال: " إنما كانوا يعدون الصغائر من المؤبقات لشدة خشيتهم لله، وإن لم تكن لهم كبائر. "؛ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " إن المؤمن يرى ذنبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه؛ وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقَعَ على أنفه فقال له هكذا " (رواه الترمذي وأحمد والبخاري موقوفاً على ابن مسعود).

ولو أنك سألت صاحب هذه المعصية يقول لك: كل الناس تفعل ذلك؛ وكأنه أصبح عرفاً مشروعاً!! ألا يعلم هذا المسكين أنه أهلك الناس؟! فعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلْكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ " (مسلم)؛ ألا يعلم هذا المسكين أن أصحاب المعالي قلة؛ فعن ابن جدعان قال: سمع عمر رجلاً يقول: "اللهم اجعلني من الأقلين"، فقال: "يا عبد الله! وما الأقلون؟"، قال: سمعت الله يقول. {وما آمن معه إلا قليل}، {وقليل من عبادي الشكور}، وذكر آيات أخر، فقال عمر: "كل أحد أفقه من عمر". لذلك قال سفيان بن عيينة: "اسلكوا سبيل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهلها". وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "الزم طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين".

يا صاحب الهممة: لا تقل إن منتهي همتي وغاية جهدي ما أنا عليه؛ فهذا حال الكلاب والحيوانات؛ يستحيل أن يتغير جنسها أو وصفها أو اسمها إلى درجة أرقى أو أعلى!! وقد ذكر ابن الجوزي قصة طريفة في ذلك فقال: " هب أن الكلب قال للأسد: "يا سيد السباع! غير اسمي فإنه قبيح"، فقال له: "أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم"، قال: "فجربني"، فأعطاه شقة لحم، وقال: "احفظ لي هذه إلى غد، وأنا أغير اسمك"، فجاج، وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر، فلما غلبته نفسه، قال: وأي شيء باسمي؟!، وما "كلب" إلا اسم حسن، فأكل. قال ابن الجوزي -رحمه الله- معلقاً: وهكذا خسيس الهممة، القنوع بأقل المنازل، المختار عاجل الهوى على أجل الفضائل!! فالله الله في حريق الهوى إذا ثار، فانظر كيف تطفئه؟! " (صيد الخاطر).

إننا يجب علينا أن نربي شبابنا وصغارنا على علو الهممة؛ فهم الذين يحملون هموم الأمة؛ ويكشفون عن أفرادها كل غمة!! وهذا ما تمناه فاروق هذه الأمة؛ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يوماً لأصحابه: "تمنوا" فقال رجل: "أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً، أنفقه في سبيل الله عز وجل"، فقال: "تمنوا"، فقال رجل: "أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله -عز وجل-، وأتصدق به"، ثم قال: "تمنوا"، قالوا: "ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين؟"، قال عمر: "لكني أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح!!" (حلية الأولياء)

فهيما اغرسوا في أولادكم وشبابكم علو الهممة؛ قبل أن يفوتكم قطار العمر وأنتم لا تشعرون؛ وقتها تندمون ولا ينفعكم الندم!! ولا يقل أحدكم أن ولدي صغير؛ فإن غرس علو الهممة مقرون بالولد منذ ولادته؛ فقد جاء رجل إلى الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله يسترشده لتربية ابن له، ويغرس فيه علو الهممة؛ فسأله: "كم عمره؟"، قال: "شهر"، قال: "فاتك القطار"، وقال: "كنت أظن في بادئ الأمر أنني مبالغ، ثم عندما نظرت، وجدت أن ما قلته الحق، وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي، فينطبع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد، ويكبر على هذا!!

لذلك فقه سلفنا الصالح هذه المعاني وغرسوها في نفوس أبنائهم؛ قال عمرو بن العاص حلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه جلس إليهم وقد نحوا الفتیان عن مجلسهم، فقال: "لا تفعلوا! أوسعوا لهم، وأذنوهم، وأهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين، قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين".

أين نحن من طرد الأولاد من المساجد؟! أين نحن من ترك الأولاد فريسة للنبت والدش ووسائل الهدم الحديثة؟! أين نحن من ترك أولادنا دون توجيه أو تربية على علو الهمة ومعالي الأمور وتحمل المسئوليات؟! عليكم أن تعلموهم سيرة السلف الصالح وكيف كان علو الهمة عندهم صغارا وكبارا!! فإن تعلم ذلك يعلى من همة الآباء والأبناء على السواء.

يقول ابن الجوزي: "فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة... فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم." . إلى أن قال: " فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر هم الطلاب." (صيد الخاطر)

إنني أذكر تلك الوصية التي كان يوصينا بها أساتذة الجامعة في فترة الدراسة لنا حيث قالوا: من كانت همته الحصول على تقدير ممتاز فسيحصل على (جيد جدا) ؛ ومن كانت همته الحصول على (جيد جدا) فسيحصل على (جيد) ؛ ومن كانت همته الحصول على (جيد) فسيحصل على (مقبول) ؛ ومن كانت همته الحصول على مقبول فسيحصل على (الرسوب)!! فعليكم أن تشحذوا هممكم نحو العبادة والاجتهاد وطلب المعالي ؛ ولا سيما في هذا الشهر الفضيل .
وختاما أقول: عليكم بإخلاص النية في الهمة بأعمالكم؛ فإن همة المؤمن أبلغ من عمله؛ قال صلى الله عليه وسلم : "من هَمَّ بحسنة، فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة..." (البخاري)؛ وقال : "من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه" (مسلم).

كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

د / خالد بدير بدوي